الجاه المستعار

مسرحية شعرية عصرية ذات أربعة فصول

مجردة من العنصر النسائى

وضع

الاستاذ محمود غنيم مفتش النشاط المدرسى بوزارة المعارف

مقدمة

بقلم المؤلف

ليست هذه الرواية حقيقة كلها ، ولا هى كلها من نسج الخيال ، بل لكل من الجانبين فيها نصيب ، فهى منتزعة من الواقع انتزاعا ، وحوادثها — إذا أخذكل منها على حدة — مما يقع كل يوم تحت أسماع الناس وأبصارهم ، وليس للخيال فيها إلا فضل واحد هو تكوين كل متماسك من هذه الأجزاء ، وصبها فى القالب المسرحى

وقد توخينا أن يكون موضوعها عصريا لسببين الأول أن حظ المسرح من الروايات التاريخية موفور والثانى أن الحاضر أمس صلة بحيواتنا من الغابر ، واذا كان من حقنا على المسرح أن نشاهد صور الماضيين منعكسة على خشبته فمن حقنا عليه أيضا أن يكون مرآة صادقة لصورنا نحن بما يزينها من قسمات ، وما يشينها من نقائص تحتاج إلى استكمال ، أو زوائد تحتاج إلى استئصال ، على أن المسرحيات

الموضوعة ألين عجينة فى يد المصور ، وأقبل لما يراد أن يصب فيها من عبر ومواعظ وأبعد عن قدس التاريخ وحرمته ؛ وقلما سلم التاريخ من تجنى مؤلفى المسرحيات عليه بما يستبيحون لأنفسهم من تغيير فى مجراه ، وما يضيفون إليه من أشخاص ليس لهم وجود

ولعلنا فى هذا العصر أمس حاجة إلى ذلك الطراز من الروايات الذى يعلن عن وجودنا كمصريين ، ويبرز قوميتنا بينة المعالم واضحة التقاطيع ، ويقينى أن الوطنية الحقة تقتضينا إبراز هذه الشخصية ، وتدعونا إلى تمصير كل شىء بدل أن نعيش عالة على العصور الغابرة ، أو على غيرنا من الأمم المعاصرة

ولست أذهب مذهب القائلين بأن الشعر أقل صلاحية من غيره فى لغة التمثيل بل ربما ذهبت إلى أنه هو دون غيره لغة التمثيل ، ولعله كان كذلك من عهد الأغريق القدماء ، ولعله لم يزل كذلك فى غير العربية من اللغات ، وإذا كان حظ الروايات المسرحية من النجاح يقاس بمبلغ تأثيرها فى النفوس كان من البين أن لغة الشعر هى الأصل فى هذا الباب ، فإنها من أكبر عوامل التأثير ، وما الشعر ؟ إنه ضرب من الكلام يمتاز بحرس القافية وإيقاع الوزن وتصرف الخيال ، وكل هذه الخصائص من شأنها أن تضاعف تأثير الروايات ، وتجعل أثر الممثل فى نفوس سامعيه كالنقش على الصخرة الصماء ، لا كالكتابة على سطح الماء

كذلك لا أرى معنى لتخصيص الشعر بالروايات التاريخية دون الروايات العصرية ولعمرى إذا استقام لنا أن نجرى الشعر العربى على لسان « قمبيز » وحاجب « قمبيز » ولا عهد لهما بالعربية فضلا عن شعرها الرصين ، فكيف لا يستقيم لنا أن نجريه — فى رواية عصرية — على لسان تلميذ فى مدرسته أو موظف فى ديوانه ؟ . المسألة عندى ليست مسألة شعر أو نثر ، ولكنها مسألة الصياغة وكيفية تناول الموضوع

وإنى لقوى الإيمان بأن المسرح المدرسى — وقد أصبح له إدارة خاصة به فى وزارة المعارف — لن يؤدى رسالته حق الأداء إلا عن طريق الروايات التى تنشأ خصيصا من أجله ، ولكن الواقع أنه لا يزال إلى الآن عالة على المسرح العام ، يستعير منه ما يصلح حينا وما لا يصلح أحيانا ، بل ربما استعار منه ما لا نستطيع أن نقبله كمربين إلا إذا طرحنا من الحساب صيانة أخلاق الشباب . وأقل ما يقال فى

تلك المسرحيات التى يستعيرها المسرح المدرسى من المسرح العام أنها أشبه بالثوب المفصل على جسم الغير ، قلما يخلو من فضول ، ويسلم من قصر أو طول

وقبل أن أختم هذا القول أرى لزاما على أن أتوجه بخالص الشكر إلى القائمين بالأمر فى وزارة المعارف على ما أبدوا من تقدير ومابذلوا من أجر لروايتى السابقة « المروءة المقنعة » وإذا كانت تلك الرواية قد صادفت حظا غير قليل من التوفيق فإنى لأرجو ألا تكون أختها « الجاه المستعار » أقل منها توفيقا ، وما أردت بها ألا غرس الرجولة الحقة فى نفوس شبابنا الناهض ، ممثلا لهم صورة شاب طلب السعادة بغير يديه فعزت عليه ، ثم طلبها بهما فانقاد جامحها إليه ، وفى الختام أسأل الله التوفيق والسداد ؟

عرض سريع

— ١ —

يرتفع الستار فى الفصل الأول عن مكتب من مكاتب الحكومة يضم طائفة من صغار الموظفين الذين قطعت آمالهم المحدودة عليهم طريق التعليم فوقفوا عند منتصفه وبين هؤلاء شاب فى العشرين من عمره « خميس » نشأ فى أحضان رجل ذى ثروة وجاه « الباشا » لأن أبا الأول يشرف على أحدى ضياع الثانى ، غير أنه يستغل تلك العلاقة أسوأ استغلال ، فهو يشهرها فى يده سلاحا يرهب به زملاءه بل رؤساءه ، وينسج منها ستارا يسدله على إهماله وتهاونه فى أعماله ، على أن طيشه لا يقف به عند هذا الحد بل يخدعه عن حقيقة تلك العلاقة التى تربطه بالباشا فتسول له نفسه أنه أهل لمصاهرته فى ابنته « سعاد » معتقدا أنه ليس بينه وبين سيل العلاوات وتخطى الدرجات إلا أن يتم هذا الزواج . وسنراه لا يتورع أمام زملائه عن الكذب الصراح فيزعم أن الباشا عمه وأنه خطيب ابنته ، على أن تلك العلاقة لا تلبث أن تنكشف — كما هى — فى نهاية الفصل على وضع يرزى به وينال من كرامة أبيه

— ٢ —

وفى الفصل الثانى يرتفع الستار عن منظر حفلة يقيمها الباشا احتفالا بعيد الميلاد الخامس عشر لابنته سعاد فيعتبرها خميس فرصة مواتية لإعلان خطبته ثم يكاشف بهذه الرغبة صديقه «عصاما» فينصحه هذا بالعدول مبينا له ـ فى رفق ـ أن علاقته بالأسرة علاقة ريبب لا أكثر وأنه لا يصح أن يذهب فى تأويل عطفها عليه إلى غير معناه ، ثم لا يكتفى بذلك بل يبين له أن المجد الذى يصيبه عن طريق هذا الزواج ـ بفرض حصوله ـ مجد زائف ، ثم يعرض عليه فكرة اختمرت فى رأسه وهى التخلى عن الوظيفة والالتحاق بكلية الطب ، فيقابل خميس تلك الفكرة بالسخرية والاستهجان مستطيلا ذلك الطريق مقتنعا أن مجده الحقيق لن يبتدىء إلا يوم يعقد ذلك القران ، وسنرى أباه « الشيخ جمعه » ينضم إلى صديقه فى نصحه بالعدول فلا يزيده ذلك إلا إصراراً حتى يظن الرجل بابنه لوثة أو مسا فيرقيه فلا يؤثر ذلك كله فيه . ثم تكون الطامة حين يتقدم بالخطبة الحمقاء فتقاب العرس مأتماً وتثير ثائرة الباشا فيقصيه عن منزله ثم يضحى من أجله بأبيه ، وسرعان ما يفقد وظيفته حين يتخلى عنه من كان يحميه .

— ٣ —

وفى الفصل الثالث يظهر خميس بمظهر البائس الذى يرثى له الشامت ، ونرى مبلغ تأثير تلك الصدمة فى نفسه فهى تساوره فى يقظته ويهذى بها فى غفوته ، وهنا تحدث المعجزة وأعنى بها الانقلاب الكلى الذى ينشىء منه خلقا جديداً لا يكاد يمت حاضره بسبب إلى ماضيه ، فنراه يبادر إلى تلبية صديقه عصام فى جد خارق ومثابرة نادرة لا يقطعها بعض الشىء إلا عجزه أحيانا عما تتطلبه الدراسة من نجوم والامتحانات من رسوم . على أن هذا الانقلاب لا يقتصر عليه فحسب بل يجاوزه إلى أبيه فنرى الرجل يستمرىء نسيم الحرية حين يتشممه ويبرم بحياة القصور ويؤثر العمل الحر الطليق محتملا ألم الفاقة مضحيا فى سبيل حريته ومستقبل ابنه بأعز ما يملك حتى لتمتد يده إلى مصاغ زوجته فيباع ثم إلى ما يحويه منزله من متاع .

— ٤ —

وفى الفصل الرابع — بعد عشر سنوات — يرفع الستار عن مستشفى خاص

يديره الطبيب خميس فيكون فى إدارته مثال الطبيب الذى يقدر رسالته ويعرف واجبه الإنسانى غير حافل بالمادة رغم انهيالها عليه ، فهو شفيق بمرضاه ، إن جاءه فقير أعفاه وربما بماله واساه ، وهو يحسن استقبال رئيسه القديم « فكرى » حين يمثل بين يديه شاكيا ما جنت الوظيفة عليه من قلة مال وداء عضال ، وهو يكفل ابن زميله القديم «خليل» حين يعلم بموته ضحية واجبه. وهكذا تتم له أسباب السعادة كما يصبح أبوه من أرباب الضياع ولم يبق ما ينغص عليه إلا شىء واحد هو طيف محبوبته سعاد . وقد تغيرت نظرته إليها فأصبحت نظرة حب الروح والجمال لا نظرة الطمع إلى الجاه والمال ، وسرعان ما يواتيه جده السعيد فيسوق الباشا مريضا إليه فيبرأ على يديه من داء حار فيه الأطباء ، فيقدم إليه يد ابنته سعاد قائلا :

ليست تكافىء أموالى وإن كثرت ... من بالسلامة بعد الداء كافانى
أنقذت روحى فاقبل ما يعادلها ... سعاد والروح فى الميزان سيان

اشخاص الرواية

١ — خميس افندى موظف بوزارة الصحة .
٢ — عصام « « فى القلم الذى فيه خميس وصديقه .
٣ — خليل « « ثالث فى القلم نفسه .
٤ — فكرى « رئيس ذلك القلم .
٥ — الباشا مستشار ذو صولة وثروة واسعة .
٦ — الشيخ جمعة والد خميس وناظر ضيعة من ضياع الباشا .
٧ — عثمان حاجب القلم السابق ثم كبير ممرضى المستشفى فى الفصل الرابع .
٨ — مساعد الممرض الأول ، مغن ، قصاب ، صبى بقال ، صاحب المنزل ، ممرضون ، ونكرات مسرحية أخرى ؟

الفصل الأول

حجرة تمثل مكتباً حكومياً بها أربعة مكاتب — الرئيس وحده بالغرفة عند كشف الستار على الحائط نتيجة تبين يوما من أيام سنة ١٩٣٠

فكرى عثمانُ عثمانُ

عثمان نعمْ

فكرى هل نمتا

عثمان نعمْ نعم

فكرى — فى حدة — تعال لانعمنا

أما رأيت ذلك الغبارا منتثراً فى الغرفة انتثاراً ؟

أنت هنا تعملُ فى الوَزارةْ وَزارة الصحة لا القذارةْ

عثمان — وهو ينهض —

لقد نفضتُ أرضها ياسيدى وسقفَها منذ قليلٍ بيدى

أتلك أرضٌ تُنبت الغبارا ؟ أم سقفُها ينزله أمطاراً ؟

فكرى قل لى كم الساعةُ ؟

عثمان إنها م ثمانْ وَعَشرْ

فكرى — كيف ولم أجدْ منَ م الموظَّفين مَنْ حَضَرْ؟

عثمان — صبراً جميلا سيدى فالله يجزى من صبر

لعلّ بعض هؤلا ء قادمٌ من السفر

أو لايزال غارقا فى النوم من طول السهر

أو عاقه « التزام »

فكرى — فى تهكم — أو مال به أو انكسر

أو قل : لعل بعضَهم عافَ الحياةَ فانتحر

أو قل : لعله مضى في رحلة إلى القمر
أو راح يبغي الدفء من برد الشتاء في سقر

عثمان :— عذراً لهم ياسيدى إن الكريم من عذر

فكرى بعد خروج عثمان :—

دواوينُ شيدت للكرى والتثاؤب لحا الله أصناماً وراء المكاتب
إذا أمَّهم ذو حاجة لقضائها فأقربُ منها نيلُ بعض الكواكب
هنا الوقتُ يمضى بينَ لهو وغفلة وتسويف مطلوب وإلحاح طالب
وكم سلمت أجسامُهم فتمارضوا وراغوا من الأعمال روْغ الثعالب
وكم رُمِّى الحرَّ الكريم لديهمو بغلظة ساع أو فظاظة حاجب
نَعَامٌ إذا هم أبصروا رؤساءهم سباعٌ على الجمهور حُمر المخالب
وما حَلُوا فى النوم إلا برتبة تساق اليهم أو زيادة راتب
ومن زار منهم كاتباً خال نفسهُ بحضرة شاه لا بحضرة كاتب
إذا خاطب الزُّوارَ صعَّر خده وأوْمَا برأس أو أشار بحاجب
ولو فتشوا عما حوته جيوبُهُ لما اغترَّ مغترٌّ بتلك المناصب

هنا يدخل خليل

خليل ـ فى مرح ـ

نعمت صباحاً جناب الرئيسْ أرى لك وجهاً شديدَ العُبُوسْ

فكرى ـ فى تلجلج ـ لانى أصبت ببرد خفيف

خليل متى ؟

فكرى فى عشية يوم الخميس

خليل — فى خبث —

سلمتَ لتلقَى فى الواجبات وحفظ النظام علينا الدروس

يدخل عصام —

عصام نعمتم صباحاً

خليل نعمت صباحا أشمسٌ تبدَّت أم البدر لاحا ؟

أعود ترنَّم فى شفتيكَ ؟ أم البوم بين الخرائب صاحا ؟

يضحك

أغالية من ثيابك فاحت ؟ أم الغاز فى ساحة الحرب فاحا ؟

يضحك

أم الصاعقات على الأرض صُبت ؟

عصام — فى وقار — رويداً صديق كفاك مُزاحا

أما زلت تقضى الحياة مجونا ؟ وتقطعها لذةً وانشراحا ؟

خليل — فى جد —

وكيف بربك أقضى الحياة ؟ أأتخن قلبَى منها جراحا ؟

أأقطعها لوعةً وأنيناً ؟ وألبس فيها الحداد وشاحا ؟

وما أنا والهمّ مادمت ألقى بدنياى خبزاً وماءً قراحاً ؟

ومن ضاق ذرعا بدنياه ضاقت عليه وإن هى كانت براحا

إذا ضنَّ دهرى بما أبتغيه وباتت علىّ الليالى شحاحا

فإنى أرى فى جمال السماء وطيب الهواء نعيما مباحا

إذا شرب الناس مرَّ الحياة عصرت أنا منه شَهدا وراحا

وإن حاربتنى صروفُ الزمان شهرت عليها احتقارى سلاحا

فما عاش شخص أطال الهموم ولا مات شخص أطال المراحا

لقد جهل الغرُّ فن الحياة وأدركته فابتسمتُ وناحا

فكرى — فى ضجر —

كفى ياخليل صدعت الرءوسْ صُنْ الوقتَ فالوقتُ كنزٌ نفيسْ

خليل سلمت لُتلقى فى الواجبات وحفظ النظام علينا الدروس

فكرى ألم يحضُر خميسٌ ؟

خليل دَعْ خميساً فلست عليه يافكرى رئيسا
بل اعْبُدهُ لتسلمَ من أذاهُ كما عبدت أوائلنا أبيسا

فكرى أَعْبُدُهُ ؟

خليل نعم

فكرى وكيف أعْبُدُهْ ؟

خليل تقوم أنتِ إن أتى وتُقعدهُ
وإن هفا تشكره وتحمُدْهُ وإن دنا بعد الغياب موعُده
فاحفظ نشيداحين يأتى تُنشده ثم ارقه من كل عين تحسُدُه

ضحك

فكرى من كان خلفه عظيم يُسندهُ قُبِّلَ رأسهُ وقُبِّلتْ يده

خليل لقد فهمت يا أخى مرادى وُقيتَ شرَّ أعين الحسَّاد

فكرى من ذلك الباشا الذى يرعاهُ ؟

خليل له نفوذٌ وغِنًى وجاهُ

فكرى لقد سمعت أنَّهُ سفيرٌ

خليل بل مُستشار شأنه خطيرُ

فكرى صدقتَ فلو لم يكن ذا نفوذ لما كان عيَّنَهُ بالثقافةْ

خليل وتلك الشهادة قد أصبحتْ لا تُعيِّن حاملها فى قرافةْ

ضحك

عصام — فى تبرم — وهل معناها غيُرها ؟

فكرى لأورقِّى

عصام ولكنَّ حبَّ التهكُّم آفةْ

فكرى — لعصام — هل يعرف الباشا خميسا من زمن ؟

عصام لاعلم لى

فكرى إن أنت لم تعلم فمن ؟

أنت له من خيرة الأصحاب

خليل إنهما جسمان فى إهاب

فكرى لقد سمعت أنه قريبه

خليل لاتصدق، إنه محسوبه

عصام

أقذعتمو ياقومُ فى هجـــائه وهْو فتًى لاشـــكَّ فى ذكائه

وذلك الباشـــا أخو أبيه ذلك ماسمعتُه من فيه

وفوق أنَّه له قـــريب فإنه لابنتـــه خطيب

خليل — محتدا —

ليس خميس واحدا من أسرتهْ ولا خميس بخطيبٍ لابنتهْ

لكنْ أبوه ناظر لضيعتـــه إنك قد حابيته لصحبتـه

بالله لاتلبسهُ غيرَ حُلته ليس من الباشا ولا من عترته

لكنه ياصاح من رعيته يعتزّ بالباشـا وفرط سطوته

ويستمدّ منه كل قيمتـه وكلُّ من صال بغير قوته

أو طلب الجاه بغير همته فإننى أطعن فى رجولتـــه

فكرى

لقد سمعت أنه فى عُطلته يعمل للباشا بأرض ضيعته

خليل وربما نظف أرض غرفته : ضحك

عصام — فى تهكم بهما — أو شارك الطباخ فى مهمته

ضحك

خليل — فى شبه همس —

وأقسم أنه قد جاء يوماً وفوق ثيابه ماءٌ كثيرُ

فحين سألته ارتبك ارتباكاً وتمتم قائلا : مطرٌ غزيرُ

وكانت أشهر الأمطار ولّتْ وحلّ الصيف واشتد الهجير

ولكن كان للباشا وليدٌ له مَن كِتْف صاحبنا سرير

وكانت هذه الأمطارُ مما يجود ببذله الطفل الصغير

ضحك

هنا يدخل خميس وهو يترنم بهذه الأغنية فى استهتار جالسا على المكاتب نفسها متنقلا بينها محييا زملاءه بالاشارة . صوته يسمع من الخارج

فكرى — بعد أن يسمع صوت خميس — لقد أتى لقد أتى

خليل دَعَا الكلامَ واصمُتا

خميس — يردد —

فى سكون الليل والناسُ نيامْ تعذُبُ الذكرى ويحلو لى الغرامْ

لاجفاك النوم ياجفن حبيبى إنما النوم على جفنى حرامْ

فكرى

لقد شنّفت آذانى لقد هيجت أشجانى

عصام

لقد أزريت يا أستا ذ بالطير على البان: ضحك

خليل

يمينـــاً أنت فنـــانٌ عظيمٌ وأبن فنانٍ : ضحك

فكرى

أيا عـثمان أتحـــفه من الشاى بفنجان: ضحك

ثم يقول فى لطف بعد برهة :

قد تأخرتَ فى الصباح قليلاً فتخوفتُ أن تكون عليلاً

خميس — فى تحد واستهتار —

لاتخف فالغياب عندى طبعٌ لست أدرى لكنه تعليـلا

أنا غيرُ الموظفين جميعـاً إن أرادوا الخروج رمتُ الدحولا

فكرى

أنا أديت فى غيابك أعما لك حتى انتهت

خميس فعلتَ جميلا

فكرى أنا لم أُثبت الغيـــابَ

خميس — بعد قهقهة — أحقاً كُلُّ هذا السخاء ؟ شكراً جزيلا

فكرى ما تعودتُ أن أضر زميلى

خميس — بعد قهقهة — ومتى اسْطَعْتَ أن تضر زميلا ؟

فكرى أنا أهوى النظام فى كل شىء

خميس وأراه علّى عبئـــا ثقيـــلا

فكرى — يسير نحوه —

أمضِ هـذا الخطاب

خميس ضعه أمامى

فكرى إنه عاجل

خميس ولست عجولا

أنا أهوى الأناة فى كل شىء فسيبقى الخطاب عمراً طويلا

ثم يمزق خميس الخطاب ويلقيه فى السلة ويعود إلى الغناء « فى سكون الليل والناس نيام »

خليل أثر الصبابة فى غنائك باد فمن التى تركتك رهن سهاد ؟

خميس ـ فى تدله ـ عذراء من بيت رفيع عماد ملكت برقتها علّى قيادى

« يستعرض أثناء » نشأت بأحضان الرفاهة والغنى وعراقة الآباء والأجداد

« كلامه صورة » هيفاء من أود الغصون قوامها وجبينها فلق الصباح البادى

« فوتوغرافية لفتا » وطباعها مرُّ النسيم إذا هفا وحديثها من رنة الأعواد

« جميلة ويوسعها » فإذا بدأت القول اهتفُ باسمها وإذا ختمت ختمت باسم سعاد

« تقبيلا .... » وإذا صحوت فإنما هى شاغلى أو نام ليلى فهى حُلْمُ رقادى

خليل بجمالها ياصاح أم بدلالها فتنتك أم بقوامها الميادا ؟

أم باسمها والدها وسطوة أهلها ؟ أم بالغنى وضخامة الإيراد ؟

نفسى تحدثنى بأنك مغرم ياصاح بالأرقام والأعداد

كم عاشق مادقّ يوماً قلبُه خطب الغوانى خطبة النقّاد

كم هاتف بالمجد لولا عرسُهُ ماكان معدوداً من الأمجاد

ذَلّ امرؤٌ تخذ الزواجَ حبالةً فى كفة كحبالة الصياد

خميس ماذا تقول ؟ أراك تهذى دائما

خليل أغضبت من نصحى ومن ارشادى ؟

خميس عجبا أمثلُك أنت ينصحنى أنا ؟ أنا لا أحب نصيحة الأوغاد

خليل شكراً جزيلا

خميس خل شكرك جانبا ماأنت ياصُعلوك من أندادى

فكرى صَهْ ياخميسُ

خميس أراك تهذى مثله نفد الحجا والصبر أىَّ نفاد

أتريد ويحك أن تبيت مشرَّدا وتضيع ضيعة صرخة فى واد؟

عصام لا تُعل صوتك فالمدير مجاورٌ لك

خميس لاتضيِّع ياعصام رشادى

ومَن المدير ومن سواه ؟ كلٌ مَنْ تخشَوْنه عندى كذِّر رماد

خليل من ذلك الماضى علينا حكمُه ؟ أبمصر عرشٌ غيرُ عرش فؤاد؟

فكرى عجبا أراه يعُدنا خدما له

خليل لولا تواضعه لقال : عبادى

خميس لا تستثيرونى ولا تستوجبوا غضبى فأُحرقَكُم بنار زنادى

وثقوا بأنى كلُّ شىء ها هنا الأمر أمرى والمراد مرادى

ثم يقذف بأوراق المكتب

هنا يسمع صوت سيارة

خميس — فى رعشة واضطراب سيارة الباشا لعمرى

عصام — فى دهشة — من أين جاءت ؟

خميس — لست أدرى

الجميع — سيارة الباشا ؟

خميس — ناهصا لمقابلته — أجل . هيا بنا على عجل

ينهض خميس لمقابلته فيدخل الباشا

الباشا — سلام عليكم

الجميع وأزكى السلامْ على حضرة المستشار الهمامْ

فكري — وهو يقدم كرسيا — تفضلْ هنا بالجلوس

الباشا — وهو يقعد — ولكنْ لدىَّ مواعيدُ تأبى المُقام

يدخل الشيخ جمعه عقب الباشا متوكئا على عصا بجبة وقفطان غير أنيقين وبيده حقيبة وقرطاس يحملهما للباشا

الشيخ جمعة نهاركم ياسادتى سعيدُ ويومُ رؤياكم لدىّ عيدُ

خميس — معرفا — هذا أبى

فكرى — شرفت يامولانا

خليل — فى تهكم خفى — ياقرأ بعد الغياب بانا

فكرى وهو يقدم كرسيا آخر عثمان هات قهوةً ياشيخ جمعة أقعد

الشيخ جمعة — وهو يرفض الجلوس

حاشاى أن أقعد حا شاى أمام سيدى
فى وقفتى بين يديه م شرفى وسؤددى
أنا وأهلى خَدَمٌ فى بيته المشيَّد
فبيتُه بيتُ الندى يُظل كلَّ مجتد
وهْو العريقُ ابنُ العريق الجيّدُ ابنُ الجيِّد
حسبى رضاه إنه أثمن ماحوت يدى

الباشا — فى عظمة — خميسُ

خميس فى اضطراب — نعم سيدى

الباشا — أين أنت؟

خميس أنا لك عبد رهين الإشارةْ

الباشا مُديرك بالأمس قد زارنى فجئت أرد إليه الزيارة
وأوصيتُه بك خيرا فلبّى فجئت أزُفّ اليك البشارة

الشيخ جمعة — بصوت عال

سألت إلهى أن ترتقى إلى أن تصير رئيس الوزارة

ثم يقول لابنه قبِّل يد الباشا وقبل رجلَهُ واشكر لمولاك الهمام فضلَهُ
واستقبل القبلة ثم ادْعُ له

خميس وأبوه = ثلاث مرات الله يبقيه ويبقى نجله

ينهض الباشا للانصراف فينهض الجميع ثم يناول الشيخ جمعة خميسا الحقيبة والقرطاس .

الشيخ جمعة خذ ياخميس هذه البضاعة حتى إذاخرجت بعدساعة
فاذهب إلى منزل مولاك بها

خميس . . . . . سمعا لمولاى وألف طاعة

ثم يتناول خميس البضاعة فى اضطراب فيقع ويذر القرطاس وبه مسحوق أبيض على ثيابه

ستار

الفصل الثانى

يرفع الستار عن بهو بمنزل الباشا معد للاحتفال بعيد الميلاد الخامس عشر لابنة الباشا « سعاد » ليس بالبهو سوى فكرى وخليل . الوقت بعد الغروب

خليل ماثدة الباشا لعمرى دسمهْ

فكرى لله ما أطيب تلك الأطعمهْ

خليل كم طبق وددتُ أن ألتهمَهْ لكننى خشيت عقب التُّخَمَهْ

فكرى هل بعد ذلك العشاء من سمر ؟

خليل هناك مطرب وعود ووتر

فكرى أتلك ذكرى ليلة الميلاد ؟

خليل نعم نعم لابنته سعاد

فكرى ليت له ألفا من الأولاد

خليل حتى نعيش العمر فى أعياد

فكرى كم لابنة الباشا إذن من العُمُرْ

خليل تَمَّ لها الليلةَ خمسٌ وعَشَرْ

فكرى إذن فقد وافق شَنٌّ طَبَقَهْ بها أخلَقَ الجلف بها ما أخلقَهْ

إن خميسا سِنُّه عشرونا

خليل ماذا تقول ؟ ذاك لن يكونا

هذا محال ليس فى الامكان هل أقفرت مصرُ من الشبان ؟

أليس فى مصر سوى ابن جمعهْ تلك لعمرى فى الوجود بدعَهْ

فكرى صَدقت فالباشا ولىّ نعمتهْ هيهات أن يُعطيه يد ابنتهْ
والحر لا يتخذ الأصهارا إلا أناساً مثله أحرارا

خليل أما ترى الليلةَ كيف كانا ممتهناً فى الحفلة امتهانا

فكرى خلناه فى المنزل راسخ القدم فجاءنا بعمل فى زىّ الخدم

خليل كم كان فى فوطته البيضاء أضحوكةً كبرى لعين الرائى

هنا يخرج خميس بفوطة بيضاء معقودة حول خصره أشبه بالخدم

خميس فكرى خليلُ أين أين أنتما ؟

فكرى وخليل نحن هنا

خميس علَّكما سُررْتُما

فكرى وخليل جداً

خميس تعاليا إذن وسلِّما قد سأل الباشا مرارا عنكما

الجميع يدخلون ثم يخرج بعد فترة قصيرة خميس وعصام بعد أن يخلع الأول فوطته ويدور بينهما الحوار الآتى

عصام لالا أوافق ياخميسْ فأعفنى أنا لا أدين بهذه الأفكار

أنا لا أدين بسؤددى إن كان عن

زوجى ظفرت به وعن أصهارى

إن تم ذلك قيل عنك : متيّم صبٌّ بحب الجاه والدينار

وجعلت نفسك مضغةَ الأفواه فى
هـذا الزمان وقصـة السُّمار

خميس ـ فى لهفة ـ دعنى بهذا الحفل أعلُن خطبتى
هى فرصة سنحت بَدارِ بَدارِ

هى ليلةٌ تم الصـفاء بها وكم من ليلة أرْبَتْ على أعمار

عصام هى ليلة إن سرت فيها تابعا لهواك لم تسلم من الأكدار
هذا زواج لن يتم وخطبة محفوفة ياصاح بالأخطار
ماأنت يامغرورُ بالروج الذى يُرضى ربيبةَ نعمة ويسار

خميس الأمر أهون يا أخى مما ترى ماذا تقول ؟ لقد شططت حذار
الحب يعصف بالقيود جميعها
عصفَ الرياح الهُوج بالأشجار

ويُلينُ قلب أبى الفتاة بسحره ولو أنه حجر من الأحجار
لا تنسَ قلب سعاد فهى تحبنى حب الرياض الخضر للامطار
لاتنس أن سعاد تسأل دائما غنى إذا أنا غبتُ بعض نهار
كم آثرتنى بالذى فى كفها والحبُّ كل الحب فى الإيثار

عصام لم لا وقد ربيتما فى منزل وقضيتما عهد الصبا فى دار ؟
لكن ذلك ليس بالحب الذى يغزو قلوب النهَّد الأبكار
إنى أسمى ذاك عطفا. والهوى والعطف يختلفان فى المعيار

خميس دعنى فى هذا الزواج وعقده تحقيقُ آمال لدىّ كبار
أنا إن ظفرت به بلغت المجد من أدنى طريق لا يكُدّ السارى
ورأيتَنى أعدو إلى درجاته عَدْو الجياد الغرِّ فى المضمار
عصام المجد ما حاكت يداك رداءه فالبس رداء المجد غير معار
ماذاك بالعيش السعيد وإنما هو — إن أردت الحق — شبه إسار
من عاش مشمولا بنعمة صهره رمقتْه زوجته بمقلة زار
نَقَضَتْ بمنزله الأمور وأبرمت باللرجال لمنزل منهـــار
من صرفته يد مخضّبة هوى فى لجة ليست بذات قرار

خميس فى استخفاف وإذن فأين المجد ؟ أين طريقه ؟

عصام سر إن أردت المجد فى آثارى
إن شئت مجدا فأته من بابه هذى لعمرى شيمة الأحرار
قم نلتحق بالطب ويحك من غد فالطب أصبح قبلة الأنظار
أنا معرم بالطب من عهد الصبا ما عاقنى عنه سوى إعسارى
إنى رأيت الطب يمنح أهله ما شئت من جاه ومن إكبار
إن الطبيب هو الحياة وإنه فى الأرض ظل الواحد القهار
حتام نرضى بالطفيف مهانة ونعيش عيش موظفين صغار؟
طلّق معى تلك الوظيفة إنها وِزْر على كتفى من الأوزار
أقسمت أنى ما بلغت براتبى إيراد حداد ولا نجار

خميس — فى قهقهة :

لحن قديم طالما رددته حتى برمتُ بكثرة التكرار

عجبا أأرجع من جديد طالبا وأعيد ويحك عهد الاستذكار
وأسير أحمل فى يمينى جدولا وحقيبةً تكتظُّ بالاسفار
هذا لعمر أبيك عار فاضح فيه صغار لى وأىّ صغار

عصام العار كل العار فيما تبتغى لكنْ طِلابُ العلم ليس بعار

خميس هذا طريق ياصديق شائك إن سرتُ فيه عَثرتُ أىَّ عِثار
أنا لو رُددْت إلى المعاهد لانقضى
عمرى هناك وما انقضت أوطارى

— فى سخرية : ولقد يهددنى هناك معلمى بالطرد آونة وبالأصفار
ولقد يعاقبنى بحبس تارة وبأكل خبز فى الغداء قُفار

عصام يكفيك سخريةً وأنت وماترى سأسير صوب طريق المختار
إنى كما تدرى أخ لك ناصح خلق الصراحةُ والوفاء شعارى
سأشقُّ نهجىَ فى الحياة بِمَنْكِبى وأعاف طعم النوم فى الأسحار
إن لم تكن لىَ صاحباً فصواحبى جدى وإقدامى وعزمى الوارى

خميس — ساخرا —

ستشق نهجك فى الحياة بَخٍّ بَخٍّ لله درُّك من فتىً مغوار
أشبهتَ « نابليون » فى وثباته بل فقتَه يا فاتح الأمصار
من كان مثلك أنت خُلِّد ذكره بصحائف من فضة ونُضار

أو خُطَّ بالنور اسمُه أما أنا فاسمى يُخطُّ بأحرف من نار

(يضحك)

يدخل الشيخ جمعة

جمعة ماذا تقولان ؟ أتمزحان ؟ هل أنتما بالحفل مسروران ؟
تمتعا ثم ادعوا للباشا بالعز عاشت بنته وعاشا

ثم يلاحظ صمتهما

ما ذلك الصمت عن الكلام هل كنتما يا بُنَيَّ فى خصام

عصام كنا معاً فى جدل عقيم ومنطقٍ ليس بمستقيم
أنت هنا أبو خميس وأبى نأخذ عنك حكمة المجرِّب
فلنعرض الأمر إذن عليكا

جمعة قل قل فإنى منصت إليكا

عصام خميسُ الليلةَ قد أرادا أن يُعلنَ الخطبةَ من سعادا

جمعة من هو هذا الأخرق السخيفُ ؟ هل هو إلا خادم نظيفُ !
كيف يكون الغرُّ صهرَ الباشا ! رباه أين عقله ! هل طاشا !
حاشاى أن أرضى بذاك حاشا

عصام إن الفتاة غضةُ الإهابِ وهْو حديث العهد بالشبابِ

جمعة بل قل حديث العهد بالفطامِ لا تذكر الزواج فى الكلامِ

ثم يلتفت لابنه هناك عشرة من الأعوام يابْنِى أفق من هذه الأحلام
إذا ارتكبت هذه الحماقةْ أذقتنى وذقتَ طعم الفاقةْ

خميس ـ متأففا ـ بالله دعـــنى يا أبى لا تُثْقل فانى أبحثُ عن مستقبلى

جمعة ـ لعصام ـ هل بالفتى مسٌّ من الشيطان؟ أم تاله من حاسد عيثان؟

ـ ثم لابنه ـ تعال يابـــنى هاهنا أرقيكا من شر كل نظرة توذيكا

ثم يرقيه الرقية التالية باسم الاله الحافظ الجبار خالق كل مارد من نار

أسألك اللهم بالكتاب وحرمة الأربعة الأقطاب

بحق فضل التين والزيتون ثم بحق سرِّك المكنون

أبعد شرور الجن عن خميس واحفظه يامولاى من إبليس

احفظه يا ألله من شمهوريش وصاحبيه مُرْعش ومشمش

ومن هـــلال وابنه بلال وخاله مزعزع الجبال

احم خميسا من عيون الناس واحفظه يارب من الوُسواس

احفظه من دبابة الصحراء وكلِّ ما يغوص تحت الماء

أو يقـذف النار من الهواء يا خالق الظلمة والضياء

بالمصـــطفى وآله ترعاهُ الله يا ألله يا اللهُ

خميس ـ فى تأفف ـ بالله دعـنى يا أبى لا تثقـل فإنـنى أبحث عن مستقبلى

دعـنى كما شئتُ أحقق أملى لا تكثر القول ولا تقلِّل

إنى كما عهـدتنى لم أذْهَـــل من ذا الذى يعقل إن لم أعقل؟

ينصرف خميس عن المسرح ويدخل الباشا وبقية المدعوين ومعهم المغنى وفرقته.

ولا بأس أن يستبدل بالأغنية الآتية سواها إذا اقتضت مصلحة الاخراج ذلك.

الباشا ـ مرحبا ـ يا مرحبا بخيرة الضيوف قدومكم يزيد فى تشريفى
ستسمعون رنةَ الدفوف وصوت هذا المطرب المعروف

***

المغنى فى سكون الليل والناس نيامْ تعذب الذكرى ويحلو لى الغرامْ
لا جفاكَ النوم يا جفن حبيبى إنما النوم على جفنى حرامْ
سكَنْت فى الليل أنفاسُ السَّحَرْ وعيونُ النجم أضناها السهرْ
ما هفا الريح بأوراق الشجَرْ لا ولا حرَّكَ ماءً فى نَهَرْ
كل ما فى الكون غاف مستريحْ وأنا وحدى ذو جفن قريحْ

***

فى سكون الليل والناس نيام تعذب الذكرى ويحلو لى الغرام
لا جفاك النوم يا جفن حبيبى إنما النوم على جفنى حرام
إيه يامن شفَّنى وجدى به وهو غاف ذاهلٌ عن صبِّه
ما لديه خبرٌ عن حُبِّه أين قلبى المكتوى من قلبه
كل صب قال للنفس لعلْ ليت نفسى عرفت معنى الأملْ

***

فى سكون الليل والناس نيام تعذب الذكرى ويحلو لى الغرام
لا جفاك النوم يا جفن حبيبى إنما النوم على جفنى حرام
هكذا مرت حياتى شجنا لم تدع لى مهجة أو بدنا
قل لمن ينعم بالحب : أنا ما تقاضيتُ لقلبى ثمنا
يا حبيبى أين أحلام الشباب ؟ أين من يأسى أمانيه العذاب؟

فى سكون الليل والناس نيام تعذب الذكرى ويحلو لى الغرام
لا جفاك النوم يا جفنَ حبيبى إنما النوم على جفنى حرام

قبل المقطع الأخير يدخل خميس المسرح عليه سيما الكآبة وفى عينيه أثر الدموع منتحيا ناحية

أحد الخدم - بعد انتهاء المغنى - مولاىَ مولاىَ

نعم

قم قم معى إلى الجرمْ

الباشا ماذا جرى ؟

الخادم سيدتى سعادُ دمعُها انسجَمْ

الباشا فى عيدها تبكى ؟

الخادم أجل

الباشا — وهو ينصرف — لابد من خطب ألمْ

جمعة — فى فزع — ماذا هناك يا تُرى ؟

عصام — فى حسرة — هناك خطب أدلهم

هناك ويلٌ وثبو رٌ ورجومٌ وحُمَم

جمعة — ملتفتا ناحية خميس أين خميس ؟

عصام مطرقٌ إطراق منَ به صمم

ها هو ذا منصرفٌ عن المغنى والنغم

جمعة ما باله قد لزم الصمت فلم ينطق بفم ؟

ثم لابنه ماذا فعلتَ ؟

خميس — فى لوغة —

آه لو عرفت مالى من ألم

رباه إن ركن آ مالى مال وانهدم

سعادُ لم تحفظ عهو د الحب أو ترع الذمم

قد طردتنى حينما خطبتها طرد الخدم

وأهدرت كرامتى يا للاباء والشمم

عصام — وهو يضرب كفا بكف

قد نفَّذَ الشقّ ما كان عليه قد عزم

جمعة كيف ألم تُجد الرُّقى ؟ ألم تُفد شيئا ألم ؟

العرس صار مأتما

عصام والآن لايغنى الندم

الباشا ـ يدخل ثائرا ـ من هو ذا الأخرق السخيف؟ هل هو إلا خادم نظيف

جمعة ـ مستعطفا ـ ماذا جرى؟ من ذا الذى تعنيه؟

الباشا أعنى حمافة نجلك المعتوه

آويتُه فى منزلى لكنه لم يرع حرمة منزل يؤويه

ما كنت أعلم أنه سيعقنى من كنت أرعاه ومن أحميه

ماشأن تلك الخطبة الحمقاء؟ مَنْ أغراه؟ كيف تسربت من فيه؟

جمعة — فى ضراعة —

مولاى عذرك واضح إن ثرت ما نجلى لبنتك فى الغنى بشبيه

عجبا أيخطبها وينسى فقره والفقر أكبر سبة لذويه ؟

الباشا أنا لاأريد لمن أصاهره غنى كم معدم ذى عزة تغنيه

إنى أريد فنى أبىّ النفس إن يخفضْه فقر نفسه تُعليه

أينال قلب سعادَ شخصٌ طالما أنست أمارات المهانة فيه؟

قد كان بالأمس القريب يعدنى مولاه . مولى المرء غيرُ حميه

فارحل بنجلك إن سمحت فانى من أجله قررت فصل أبيه

جمعه — فى عويل والباشا منصرف —

يا للمهانة والخصاصة والطَّوى من بعد خفض العيش والترفيه

مولاى عفوكَ هبه أخطأ أو هفا ماذنبُ والده وذنبُ أخيه ؟

ثم يسقط مغشيا عليه

أحد الحاضرين الشيخ قد أصيب بالاغماء

ثان صُبُّوا عليه قدحا من ماء

ستار

(يتبع)